

## بحث في الصلاة

للدكتور جواد علي

بين يدي رسالة للمستشرق اليهودي المعروف المرحوم أويكين ميتوخ (Eugeen Mittwoch) بحث فيها عن الصلاة عند المسلمين وقارن بينها وبين الصلاة عند اليهود. وقد أجهد المستشرق نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدتها قبل الدخول في الموضوع، هي أن الرسول الكريم أخذ صلاته من صلاة اليهود كما أخذ سائر الطقوس والعبادات<sup>(١)</sup>.

وبين يدي أيضاً بعض الأبحاث العلمية التي قام بها نفر من المستشرقين في نفس هذا الموضوع، أي تطور الصلاة ونشوء العبادات في الإسلام، كبحث المستشرق المجري اليهودي كولدزهيير (Goldzyhier) وبحث المستشرق الهولندي جوينبول (Juynbole)<sup>(٢)</sup> وأبحاث المستشرق المرحوم بيكر (Becker)<sup>(٣)</sup> وهي تسير على نفس الأسلوب ولكنها تختلف في النتائج. إذ من رأى هؤلاء أن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ صلاته وعبادته عن النصارى لا اليهود.

وبالنظر إلى ما في أبحاث هؤلاء المستشرقين من أمور لا تقرها الحقيقة رأيت أن أكتب في هذا الموضوع، وأن أقارن بين الصلاة في الإسلام وبين الصلاة في اليهودية خاصة، لكونها أساس الصلاة عند المسيحيين فأقول:

أجمت المذاهب الإسلامية قاطبة على أن هنالك خمس صلوات مفروضة في اليوم، وأجمت كذلك على عدد الركعات؛ فصلاة الصبح ركعتان، وصلاة الظهر والعصر والمساء أربع ركعات إلا صلاة المغرب فإنها ثلاث ركعات<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع بحثه المقدم إلى الأكاديمية الملكية البروسية سنة ١٩١٤ بعنوان تطور الصلاة الإسلامية وطقوسها.

(٢) راجع بحث (Juynboll) الذي طبعه في مدينة ليدن الهولندية عام ١٩١٠ بعنوان Handbook of the Islamic law.

(٣) راجع أبحاثه في مجلة (الاسلام) السنة الثالثة ج ٤ عن رأى المستشرق المجري راجع كتابه «دراسات إسلامية» ج ١ ص ٣٥.

(٤) راجع كتب الفقه في بحث الصلاة على اختلاف المذاهب مثل كتاب الوضع لأبي زكريا الجناوروني يحيى بن الحخير (القاهرة) المطبعة البارونية ١٣٠٥هـ، وكتاب النيل وشفاء الليل لعبد العزيز إبراهيم المصري، وكتاب شرح النيل وشفاء الليل للانطيسي وهي على مذهب الأباضية.

ولم تختلف المذاهب الإسلامية قديماً وحديثاً في الشكل الأساسي للصلاة ولا في هيكلها وكيفيةها، وإنما اختلفت في مسائل فرعية طفيفة لا علاقة لها بالوضع العام للصلاة. فطريقة الركوع والسجود واحدة بين الجميع، وعدد الركعات ثابت كما قلنا، والاتجاه نحو القبلة واجب لا خلاف فيه. وأما فيما عدا ذلك مثل الجهر بالقراءة أو الإخفات، وإسبال اليدين في الصلاة أو «التكثيف» فوق السرة أو تحتهما، وجواز القنوت أو عدم جوازه، ورفع السبابة في التشهد أو عدم رفعها وإدارة الرأس نحو اليمين واليسار حين السلام أو عدم ذلك، ثم الحد الأدنى للآيات التي يجب قراءتها في الصلاة، وأمثال ذلك، فإن كل هذه لا تؤثر على هيكل الصلاة

وشكلها كما قلنا وبكاد يصب على غير السلم تمييز هذه النقاط «والصلاة هي الدعاء وعبادة الله الرحمن الرحيم بأقوال وأفعال ونظام وترتيب جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وأتبعه الصحابة وفرده أئمة الدين الذين تفرغ كل منهم لوصف ما وصل إليه وتمحيصه من صحيح العلم ودقيق العمل كما كان عن النبي صلى الله عليه وسلم وما فعل الصحابة الذين عاصروه وقاموا باتباع ما جاء به.. ولكم في رسول الله أسوة حسنة...»<sup>(١)</sup>.

والصلاة مظهر من مظاهر تعلق الفرد بمخالقه وواجب من واجبات الإنسان الدينية والانفرادية والاجتماعية في كل الأيام وعند جميع الشعوب وهي التكلم مع الله وطلب ما يحتاج إليه الإنسان مع الشكر لأجل المراحم الإلهية<sup>(٢)</sup>. ففي الصلاة إذاً

عنصران: عنصر الشكر للاله ومدحه وتبجيله على عظمته وبديع صنعه؛ وعنصر الطلب من الله القوى القهار الذي يسأل فيجيب وهي فرض في الإسلام واجب لأنها ركن من أركان الدين ولأنها «مفتاح من مفاتيح الجنة»<sup>(٣)</sup> والصلاة عماد الدين<sup>(٤)</sup>.

جاء في القرآن الكريم «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»<sup>(٥)</sup> وجاء في القرآن الكريم أيضاً «ما سلككم في

(١) راجع كتاب الاسلام لمعيد لطن حسن. القاهرة سنة ١٩٣٢ ص ٢٣٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢. طعة الجمعية البروتستانتية Hastings. Dictionary of the Bible P. 744.

(٣) كتر الأعمال ج ٤ ص ٦٤. نمرة ١٠١٩. P. 5 mittwoch.

(٤) كتر العمال حيدر آباد ١٣١٤ ج ١ ص ٢٢ نمرة ١٢٠٦.

(٥) القرآن الكريم.

وكلمة « صلاة » آرامية في الأصل ثم استعملها اليهود فأصبحت لفظاً آرامياً عبرياً<sup>(١)</sup> دخلت اللغة العربية عن طريق اليهود أو المسيحيين<sup>(٢)</sup>. استخدم اليهود هذه الكلمة ( صلوة ) ( Salute ) في الأزمنة المتأخرة من عهد التوراة حتى أصبحت كلمة مألوقة ذات معنى ديني خاص<sup>(٣)</sup>. وفي القاموس « والصلوات كنائس اليهود وأصله بالعبرانية صلوته »<sup>(٤)</sup> ومن جملة الصلاة « الدعاء » إلا أن « الدعاء » في الإسلام هو الاتيئال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من خير . ويقابل لذلك في العبرية كلمة « تمنونيم » ومعناها التضرعات والدعاء ! وأما الصلاة التي هي ركوع وسجود فإنها تقابل لفظة « تفلوت » التي تعني صلوات<sup>(٥)</sup> قبل أن تخصص الصلاة عند اليهود بكلمة « صلوته » الآرامية في عهد التوراة المتأخرة<sup>(٦)</sup>.

والذي لاحظته المتبعون أن الشعوب القديمة حتى البربرية منها كانت تقوم بفروض دينية يصح أن نطلق عليها لفظة « صلاة »<sup>(٧)</sup> ومن بين ما عثر عليه النقبون بعض النصوص القديمة التي كان يقرؤها الأشوريون والبابليون في الصلاة<sup>(٨)</sup>. والصلاة عادة طقوس خاصة وشرائط لا بد منها ؛ وبدون هذه الشروط تكون الصلاة باطلة غير مقبولة مثل ضرورة النسل وشروط الملابس والبخور والوضع في المبد وما يجب على المرء أن يقوم به أثناء الصلاة وهي تختلف باختلاف الأمم وعقليات الشعوب . وقد لعبت الصلاة في العصور الوثنية دوراً هاماً . اعتقد الوثنيون أن المرء متى أحسن أداء الصلاة وقرأ النصوص التي لا بد منها كما هي مكتوبة وقام بجميع أركان الصلاة وناجى آلهته في صلاته بأسمائها الصحيحة فإن الآلهة تلي طلب المصلي لا محالة وتجبر على إجابة رغباته حتماً<sup>(٩)</sup>.

(١) mittwoch. P, 6.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر أيضاً بحث المستشرق كولنزهو بنوان دراسات إسلامية ج ١ ص ٣٥ .

(٤) القاموس ج ٤ ص ٣٠٣ .

(٥) mittwoch. P, 6.

(٦) نفس المصدر .

(٧) راجع Encyclopedía Británica art Prayer .

(٨) The Religions of the East P, 17 (A)

(٩) The old Persian Religion. 1920 P. 22 (٩)

سفر؛ قالوا لم تكن من الصليين ولم نكن نطمح المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين»<sup>(١)</sup> وجاء عن النبي (ص) أنه قال « من ترك الصلاة متمداً فقد كفر جباراً »<sup>(٢)</sup> وجاء أيضاً « من ترك الصلاة متمداً أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يرجع الله توبته »<sup>(٣)</sup>. فالصلاة إذاً فرض واجب على كل مسلم ؛ من تركها متمداً فهو ليس بمسلم<sup>(٤)</sup> وعد كافراً وجازقته<sup>(٥)</sup>. وفي الكتب التي أرسلها الرسول إلى القبائل العربية ذكر للصلاة بعد الإيمان<sup>(٦)</sup> وفي الحديث « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً »<sup>(٧)</sup> والصلاة في الأصل الدعاء والرحمة والاستغفار والبركة<sup>(٨)</sup> ثم

خصصت لنوع معين من أنواع العبادات فيها ركوع وسجود وحركات معينة وقواعد ثابتة لا تتأثر بإرادة المصلي ولا برغبته وميوله ولا بالوقت الذي يريده إذا كانت الصلاة مفروضة واجبة<sup>(٩)</sup> وللصلوات شكل معين معلوم وإن لم يعينه القرآن إلا أنه معين باتفاق الصحابة والمذاهب الإسلامية عليه .

ثم إن الصلوات اليومية الخمس تؤدي في أوقات معينة معلومة لا يمكن المصلي أن يتخطاها وإلا اعتبر مقصراً وأصبحت صلاته باطلة . وأما الدعاء فإنه يكون في أي وقت كان وفي أي صورة يريدها المتضرع ؛ فهو لا يتقيد بقيود ولا يتعين بشكل خاص ولا يكون في الصلاة إلا في مواضع معينة مخصوصة .

(١) قرآن الكريم .

(٢) الإسلام ص ٢٤٠ .

(٣) الإسلام ص ٢٤٠ .

(٤) الإسلام ص ٢٤٠ . mittwoch. P, 5.

(٥) الشيرازي تنية طيبة ( Juynball ) ص ١٥٠ ر .

(٦) راجع الكتب التي أرسلها الرسول إلى القبائل العربية بعد

إسلامها . mittwoch. P, 5.

(٧) في التبريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك

الزبيدي ج ١ ص ١٣ . شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن

محمداً رسول الله وإقام صلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من

الغنم الخمس . وفي ج ١ ص ٨٠ بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله

إلا الله وأن محمداً رسول الله وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان .

(٨) قاموس ج ٤ ص ٣٠٣ . لمصباح النير ج ١ ص ٥٣ .

المطبع الأمرية بمصر ١٩١٠

(٩) mittwoch. P, 6.

بذلك الشمس والقمر؛ لأن عقلية الإنسان الابتدائي تميز هذين  
الجرمين لكبرهما عن الأجرام الأخرى بسهولة، ولذلك كان الشروق  
والغروب ووقت الزوال أحيانا من أوقات الصلاة المفروضة لدى  
غالبية الأمم والقبائل والشعوب<sup>(٢)</sup>.

وحتمت الديانات الآرية القديمة والسامية منذ أقدم الأزمنة  
على الإنسان الصلاة في أوقاتها، فن الواجبات الدينية على كل  
رجل من أتباع زردشت بلغ سن التكليف الديني<sup>(٣)</sup> أن يصلى  
ثلاث مرات في اليوم صباحاً وعصراً ووقت العشاء (المغرب)  
وعليه فضلا عن ذلك صلاة (Ashewvohu) وهي الصلاة التي  
يجب على كل رجل أداؤها حين ذهابه إلى الفراش لأجل النوم، وبعد  
نهوضه من النوم مباشرة<sup>(٤)</sup>.

مروار علي

(البقية في العدد القادم)

(٢) راجع الكتب المؤلفة في تاريخ الأديان 33,4 Yasna.

(٣) The old Persian Religion, P, 124 nirangastau 31.

ويقل الفرس اليوم الطفل الفارسي في المجمع الديني حتى بلغ السابعة من العمر.  
راجع Zend. av 2. 243.

(٤) Shâyast 7. 1. The old Pers Rel P, 124.

وفي استطاعة المصلي أيضاً إذا ما كرر الكلمات المقدسة  
في صلاته طرد الأرواح الخبيثة والعوالم الشريرة عنه بل وفي  
المصلي استخدام الأرواح العليا لقضاء مصالحه وطلباته ولتنفيذ  
رغباته فيما إذا أحسن المصلي أداء الصلاة. جاء في ياسنا من دين  
زرداشت «وبواسطة صلاتي هذه يا مزدا (Manydáh) أرجو  
منك طرد الأرواح الشريرة والخبائث»<sup>(١)</sup>.

ومن الأمور التي تهتم بها الشعوب في صلاتها مسألة عدد  
الصلوات اللازمة على كل إنسان وتعيين أوقات الصلاة بالضبط  
ليتسنى لكل مؤمن أداء الفرائض في أوقاتها ومواقفها. وقضية  
الوقت هي قضية مهمة جداً فإن لم تعين أوقات الصلاة وتضبط  
التبس الأمر على المؤمن وحار، لذلك ارتبطت مواعيد الصلاة  
بالصلاة مذ صلى الإنسان الأول. وبالنظر إلى عدم معرفة الإنسان  
طريقة فنية لضبط الأوقات، وبالنظر إلى عقيدة تقديس الأجرام  
السموية والانصراف إلى عبادتها ربط الإنسان أوقات صلاته  
بأوقات ظهور الأجرام السماوية؛ ولا سيما الكبيرة منها، وأغنى

(١) Persian. Religion P, 23 راجع

المكتبة أمن ما في البيت من أمثالك

## ولجنة النشر للجامعيين

تفخر بأنها أضافت إلى المكتبة العربية أقوى نماذج القصة

الأستاذ عادل كامل	الأستاذ با كثير	الأستاذ المازني
قرشا ٢٠ ١٥ ١٠ علم الأكبر ملك من شعاع ديك عتق (نقد)	قرشا ١٥ ١٥ ١٥ سلامة النفس (طبعة ثانية) وإسلامه القرعون الموعود	٢٥ ٢٥ ١٥ إبراهيم الكاتب ثلاثة رجال وامرأة ع الماشي
الأستاذ نجيب محفوظ	الأستاذ عبد الحميد السحار	
قرشا ١٠ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ٢٥ رادوييس (نقد) كفاح طية خان الخليل قربا	قرشا ١٥ ١٥ ١٥ أبو ذر الفارسي (طبعة ثالثة) بلال مؤذن الرسول (نقد) ق الوظيفة (نقد)	
قرشا ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ٢٥ عشاق العرب محمد رسول الله عطر ودخان (نقد) الأطيار الأربعة مرابا الناس النسي الصنير		

تطلب من مكتبة مصر ومطبعتها ٦٣ شارع الفجالة